

(من هو العالم بنظركم)

تعريف من يطلق عليه لفظ

(عالم)

شرعاً

كتبه

حسن بن علي السقاف

عفا الله تعالى عنه

## بسم الله الرحمن الرحيم

### سُئِلْتُ من هو العالم بنظركم؟

الجواب: العالم إجمالاً هو الفقيه، وهو الذي يعرف أحكام الإسلام المقتبسة من أدلتها الكلية وأهمها العقل والكتاب والسنة والإجماع، فمن لم يكن متمكناً في معرفة الأحكام التشريعية العقائدية والفقهية الماثورة في الكتاب والسنة لا يسمى عالماً يصح أن يكون مرجعاً للمسلمين في معرفة أحكام الإسلام ومبادئه وأفكاره وما طلبه الله تعالى من عباده مهما ادّعى العلم والمعرفة.

هذا على وجه الإجمال؛ أما على وجه التفصيل فنقول: إن العالم هو من تدرّج في المراحل التالية:

١- قراءة علم التوحيد وعلم الفقه كاملاً بواسطة المتون على العلماء المتمكنين وجد واجتهد في فهم تلك الأحكام والمسائل، ومن شروط الطالب المبتدي أن يتحلّى بالأخلاق الإسلامية الفاضلة وأن يسلك طريق أهل الله تعالى في التربية ومحاربة النفس وشهواتها واكتساب التواضع واحترام العلماء والصالحين والالتجاء إلى الله تعالى والمواظبة على الطاعات والعبادات وهذه طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- قراءة آلات العلوم مثل النحو وعلوم العربية والتجويد، مع ملاحظة أن أعلى مراتب الأخذ والتلقي هو سماع الأصول والمتون من أفواه الرجال، أي قراءة مبادئ العلوم ومتونها على العلماء والمشايخ ثم تلقيها بواسطة القراءة وسؤال أهل العلم عن المشكلات التي لم تتضح.

٣- ثم القيام بعد ذلك بتتبع أدلة المسائل ومعرفة الكتاب والسنة وغير ذلك وفهمها.

٤- ثم الاشتغال في معرفة صحيح السنة من ضعفها وتمييز المقبول من المردود في الاستدلال، وذلك بالتعرف على الطرق التي توصله إلى أقوال العلماء الحفاظ والمحدثين في الكتب والمصنفات للتعرف على حكمهم على الأحاديث بالصحة أو بالضعف واتباعهم في ذلك.

٥- الاشتغال بعلوم الآلة التي تؤهله لأن يرتقي إلى أوائل رتب الاجتهاد وقد تقدم أن منها إتقان:

أ- العربية. ب- الحديث.

ج- التمكن من علم الأصول ومحاولة تفعيل القواعد وتطبيقها على الأحكام، وإلا بقي العلم جامداً ومعرفة لا فائدة منها، والمقصود من علم الأصول هو استنباط الأحكام.

د- الاطلاع على علم التفسير والاهتمام في فهم المعنى المراد وعدم تضييع الوقت فقط في الإعراب وبيان الإعجازات أو الأوجه البلاغية، فالمقصود هو فهم المراد من النص لا التوسع الكبير في علم

البلاغة والبديع وما إلى ذلك، فإن كثيراً من المتشدين من المعاصرين في هذا الباب ليسوا على مستوى من العلم والفهم.

هـ- الاطلاع على السيرة النبوية.

و- الاطلاع على التاريخ ومقالات الفرق.

وهو إلى هذا الحد لا يزال في مراتب التقليد، ثم تنفتح أوائل درجات الاجتهاد في النقطة التالية:

٦- أن تصبح له قوة اجتهاد في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، والاجتهاد في إعطاء الحكم على كل رجل من رجال الأسانيد في الأحاديث، فمن رجع إلى مثل (تقريب التهذيب) أو (الكاشف) أو الكتب التي تعطي ملخص الحكم فهو لا يزال مقلداً، أما من قرأ ترجمة الرجل ممن المطولات وأدرك أسباب جرح الأئمة أو تعديلهم أو اختلافهم في الرجل الواحد وما يتصل بذلك من سير الروايات وغيرها واستطاع أن يخرج بنتيجة في ذلك فهو مجتهد في هذا الجانب.

٧- النظر في أقوال العلماء أصحاب المذاهب الأخرى ومعرفة أقوالهم في المسائل وعدم اقتصره على معرفة مذهبه فقط، وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بمعرفة مواضع الإجماع والخلاف لئلا يقول المجتهد قولاً يخالف به الإجماع.

٨- النظر في مسائل العقيدة من ألفها إلى يائها من ناحية أدلتها، ولا يستطيع أن يقوم بهذا النظر إلا من قرأ المتون والشروح وعرف ترتيبها، وقدر على استقصاء المسائل، وهنا يبدأ التصنيف الحاد المثمر الذي يعود على المؤلف قبل غيره بالنفع التام، لا سيما إذا تجرد عن الهوى والعصية ووضع تقوى الله تعالى بين عينيه ولم يلتفت للمؤثرات والضغوطات، أو لم تؤثر عليه المؤثرات الخارجية في انحرافه عن الوصول للحق ولما يوجبه الاستنباط من الأدلة.

٩- النظر في المسائل الفقهية من ألفها إلى يائها كذلك على النسق الذي تقدم في مسائل الاعتقاد.

١٠- ثم التمكن من استحضار الأدلة والمعاني من القرآن والسنة بضابط العقل المتمكن للنظر في قضايا الأمة وشؤونها وهمومها وإيجاد السبل والحلول للمستجدات وللخروج من المآزق وغيرها.

ومن وصل إلى هذه الدرجة فهو العالم المجتهد.

ومن تعلّم التوحيد والفقه وامتلك القدرة على تطبيقهما فهو العالم المقلد. وهذا هو المستفيد السائل دوماً بين يدي العالم المجتهد، وليس له أحقية الاعتراض على المجتهد أو دعوة الناس إلى تقليده ونبد تقليد العالم المجتهد، بل يحرم ذلك عليه لأنه ليس من أهل الذكر والاستنباط المعنيين على التحقيق!

وما سواهما فلا يطلق عليه عالم لأن التوحيد والفقه زبدة علوم الإسلام والغاية في إدراك الأحكام التي كلف الله تعالى العباد بها.

والمفكر الإسلامي لا يطلق إلا على من تمكن من هذين العلمين (التوحيد والفقه) لأنه بإدراكه للأحكام وتمكنه فيها يستطيع أن يفكر تفكيراً سليماً، فمن لم يكن عالماً بعلم التوحيد حسب ما هو مدوّن في كتب العقائد والكلام ولم يكن عالماً بالمسائل الفقهية المدونة في كتب الفقه لا يجوز إطلاق لقب المفكر الإسلامي عليه.

وهذا المفكر ينقسم إلى قسمين: مُفكّر صغير وهو المقلد، ومُفكّر كبير أي مطلق وهو المجتهد، ومنه يُعرّف أن إطلاق المفكر الكبير على كثير من المعاصرين مما لا قيمة له.

[تنبيه مهم]: اتضح مما تقدم أن حمل أي إنسان شهادة الدكتوراه أو غيرها لا تجعله في مصاف العلماء والمفكرين وعلماء الإسلام، إلا إذا كان حامل هذه الشهادة ممن قرأ العلم بالطريقة السابقة التي شرحناها وبقي طالباً للعلم مشغولاً بتحصيله والازدياد منه.

فالعالم هو من أثبت وجوده العلمي غير المزيف ولا الدعائي في المجتمع بين العلماء (أي في البيئات العلمية المحترمة) وليس بين الجهلاء أو بين مَنْ لا يعرف الضوابط ويميزها، وهو الذي تميّز بالجد والاجتهاد وطلب العلم للعلم لا لشيء آخر كوظيفة أو منصب، لأن طالب العلم للعلم هو الذي يتميز دون غيره، وطرق الدلالة على علمه ومعرفته طريقتان:

الأولى: وهي الطريقة الكبرى: التأليف والتصنيف والإبداع فيهما.

والثانية: وهي الطريقة الصغرى: أن يتخرّج به جماعة من العلماء ولو عالماً واحداً يعترف بعلمه أهل العلم، فالإمام الحافظ العراقي مثلاً رغم وجود عشرات أو مئات الطلبة لديه فإنه قد خرّج ثلاثة من التلامذة الكبار وهم: الحافظ نور الدين الهيثمي، وابنه ولي الدين العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني. وكذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كذلك خرّج نحو سبعة من العلماء الكبار الذين استطاعوا حمل علوم الإسلام وبث الفكر من بعده، وهكذا.

(فائدة): فهذه الضوابط والنقاط المتقدمة تجعل دخول غير المؤهلين من المتجرئين على الفتوى أمراً محالاً وتُخرّج المنحرفين أصحاب الأهواء والمبتدعة والفساق والمنافقين لأصحاب الثراء والحكم لنيل المكاسب الدنيوية والشخصية من دائرة الاعتبار ومشروعية الرجوع إليهم في أمور الدين.

سؤال: هل لدينا علماء فعلاً؟

الواقع أن لدينا علماء قلائل بالمعنى الضيق وهو مَنْ عَرَفناه سابقاً بقولنا (ومن تعلم التوحيد والفقه وامتلك القدرة على تطبيقها فهو العالم المقلّد).

أما العالم المجتهد فيندر وجوده جداً عند أهل السنة، وهو متوفر وموجود عند الشيعة الزيدية والشيعة الإمامية والإباضية، ولذلك أسباب منها:

أن هذه المذاهب أو الفرق تحض على الاجتهاد وتعتبر أن بابه مفتوح لكل طالب مُجِدِّ، بينما نجد أصحابنا السنيين يجزم جمهورهم بإغلاق باب الاجتهاد ويزرع اليأس في قلوب الطلبة عن الوصول لمراتب الأئمة السابقين الأعلام مع تقدّم وسائل العلم والمعرفة وسهولة التمكن من التحصيل.

وكذا مما ساعد على هبوط المستوى العلمي عند علماء أهل السنة وتدنيه وجود الجماعات الإسلامية التي تزهد في العلم والعلماء وتعتبر علوم الإسلام التي تقدّم الكلام عليها من الأمور الخلافية التي يجب الابتعاد عنها ووجوب الانصراف إلى مراقبة الأمور السياسية والاشتغال بأمور ثانوية جداً لرياضة وإضاعة الأوقات في المساجد دون القيام بالهدف الذي بنيت المساجد في الإسلام لأجله.

وبالتالي فقد تحطم الجهاز العلمي تماماً عند أهل السنة والجماعة وفقد مرجعيته وقيّمته واعتباريته لا سيما وقد ساعدت العوامل السياسية أيضاً بمصادرة الأوقاف التي كانت بيد هيئة كبار العلماء والتي كانوا من خلالها يؤمّنون رواتب العلماء ومصاريف طلبة العلم وما يتعلق بذلك، بينما لم تستطع كل هذه العوامل أن تخترق الشيعة الإمامية وبقي لهم نفوذهم وقدرتهم على توجيه الناس وإرشادهم، وهذا مما يجب أن نعترف به ولا نكابر أو نجادل فيه بالباطل.

ورغم كل تلك المؤثرات المتقدم ذكرها على أهل السنة والجماعة إلا أن هناك بعض الأفراد يمكن أن يكونوا من هيئة كبار العلماء وأغلبهم من الشباب الذين لم يتلقوا الشريعة في الجامعات وإنما من الشيوخ والعلماء المقلّدين واستطاعوا أن يُنَمُّوا أنفسهم ويجتهدوا في التحصيل، فلو توفرت لهم سبل توفير مصاريفهم المعيشية وتوفر الاتصال فيما بينهم لتبادل المعلومات لاستطعنا أن ننتج نواة لهيئة من كبار العلماء تستطيع أن تتطوّر فيما بعد لا سيما وأن أهل السنة فيهم من الأثرياء من يستطيع لو حده أن يتكفل جميع تلك المصاريف فكيف لو اشترك في تأمين تلك المصاريف كثيرون واقتسموها فيما بينهم

لدفع عجلة العلم والعلماء وإعادة بناء الجهاز العلمي عند أهل السنة؟

جميعنا يسمع ويرى كيف يبذر أثرياء العرب والمسلمين أموالهم في أمور كثيرة فارغة دون الاستفادة منها لصالح الأمة، وخاصة لدعم العلماء وسد حاجة الفقراء والمحتاجين، وهذا يدل على أن أولئك

المبذرين بل وغالب أفراد الأمة عند أهل السنة والجماعة يعيشون بدون أهداف سامية في الحياة، ولا يحملون قضية، وليس في أذهانهم حضور في صنع برامج نهضوية وتفكير معالجة للأمة فيما وقعت فيه. ويظن كثير من أولئك الأثرياء أن حضور الصلوات الخمس جماعة في المسجد أو حضور مولد أو الذهاب للعمرة كل سنة والتظاهر ببعض العبادات كافياً لإسقاط وظيفته وواجبه الشرعي، وما هو مطلوب منه تجاه دينه أمام الله تعالى يوم القيامة.

وجميع أفراد الأمة يحتاجون لعلماء ينبّهون عقولهم ويدلونهم على ما يجب عليهم فعله وتحقيقه ويحثّونهم على تلقي العلوم الشرعية بالطرق المعتبرة الصحيحة عند المسلمين، لا أن يزهّدوهم في العلم ويغلّقوا عقولهم أو يجروهم إلى الملاعب والرحلات الفارغة، فالواجب سحب الناس وخاصة الشباب لدراسة المتون بدل تضييعهم فيما لا فائدة فيه.

ومما يؤسف له جد الأسف وجود طبقة المعثرين فيما بيننا والذين يُعَثِّرون أي محاولة لتحقيق هذا المشروع الذي هو أهم مشاريع نهضة الأمة على الإطلاق، وقد يستغرب الإنسان الذي لا يعرف هذه القضايا إذا أعلمناه أن من أهم أولئك المعثرين أشباه علماء يضلون الشباب عن الوصول إلى العلماء وقراءة العلوم عليهم وأشباه علماء أيضاً يضلون أصحاب المال عن الوصول لطلبة العلم الحقيقيين وللعلماء المنقذين المتمكنين تحقيقاً لنزغاتهم النفسية وأهوائهم الشيطانية ومصالحهم الذاتية، وهم يعتقدون ويعرفون أن قيمتهم المزوّرة ستزول وتلاشى وتنكشف إذا تحقق ذلك، وليس تحقيق ذلك ببعيد ولو كره المبطلون والكافرون. ومع وجود كل هذه العوائق فإننا متفائلون جداً ونعتقد أن أصحاب العقول من العلماء متى اجتمعوا في أي لحظة وعزموا على النهوض بالأمة فإن الله تعالى سيسرّ لهم ذلك وسيحقق ذلك بأسرع وقت، فعلى الجميع أن يثوب إلى رشده {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} \* وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ \* وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ {الزمر: ٥٣-٥٦}.

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً